

قامت هذه الدراسة على قناعة مهمة تقول: لا يمكن للثقافة العربية أن تتجدد، ما لم يبدأ العقل في نقد ذاته و القفز عبر الزمن لاقتطاع تأشيرة للمستقبل.

لقد تمكّن العقل في مشروعه الرّاهن من تمزيق الذات و خلخلة الفهم، و تجريح الكوجيتو بفضل الضربات الموجعة التي تلقّاها فلم تعد الذات تلعب دورا محوريا في الكون، بل صار للمعنى السلطة كلها.

هكذا كان أدونيس في هذه الدراسة مركز المعنى و مشروعا جادا لتشكيله، لكنّه مشروع يبقى قيد التأسيس، و بناء دائم ما دام التّأويل هو فعل يغامر من أجل تملك النصّ.

لقد أفرز البحث في "إستراتيجية التّأويل عند أدونيس" نتائج يمكن أن نقسمها إلى نتائج نظرية و أخرى تطبيقية؛ أمّا فيما يخصّ النتائج النظرية:

1. فرّق الفكر العربيّ الإسلامي بين مصطلحي التفسير و **EXPLICATION** و "التأويل **INTERPRETATION**، و هي تفرقة تعلي من شأن "التفسير"، و تقلّ من مرتبة التّأويل، كما تمّ بموجب هذه النظرة عزل المعرفة الدينية عن المعرفة العلمية، و بالتالي إنكار تطوّر النصّ.
2. الهرمنيوطيقا في الدراسات العربية القديمة تتلوّن بتوجّه صاحبها الإيديولوجي؛ فعند الشاطبي تأخذ طابعا نقليا، على عكس "ابن رشد" الذي يتحوّل عنده صورة موازية للعقل و تتّجه اتجاها روحيا عند "ابن عربي"، لكنها عند "ابن تيميّة" شيخ الإسلام و تلميذه "ابن القيم" تقف موقفا آخر، ينتصف بين هذا و ذاك.
3. الهرمنيوطيقا في الدراسات العربية المعاصرة عدّت على أنّها طريقة مكّملة لمنهج ما، كما امتنعت السّاحة النقدية العربية عن التّأصيل لهذا المنهج لعدّة اعتبارات ترتبط بالمقدّس.

4. ساهم ادموند هوسرل في تشكيل الصرح الهرمنيوطيقي دون أن يدري، و قدّم فلسفة تعكس مقولته الشهيرة "الفيلسوف هو فقط ذلك الذي ينذر نفسه للفلسفة"، الذي يملك راديكالية الإرادة التي تريد تحقيق أقصى ما يمكن تحقيقه.

5. يخلّص هيدجر الحقيقة من قيد الماضي، و يطلق ماهيتها التي هي في العرف التقليدي تطابق الشيء مع العقل.

6. عتبة الفهم عند هيدجر في العملية التأويلية هي عملية أساسية لتحقّق "الدازين" الذي هو صميم الوجود.

7. حول غادامير الفهم في الفعل التأويلي إلى "تلسين الفهم"، و نجح في إخراجها من محيطها السيكلوجي.

8. لقد تبين لنا أنّ الممارسة التأويلية لا يمكن إلا أن تتمظهر في العتبات الآتية: 1/ الفهم، 2/ الإدراك، 3/ التفسير، 4/ التأويل.

9. إنّ محصّلة العتبات السابقة هي الحلقة التأويلية: Le cercle Herméneutique .

10. شكّل مثلث الفهم الألماني (هوسرل، هيدجر، غادامير) النظرية الأساسية التي تؤسّس للعتبة الأولى أي "الفهم"، فمع هوسرل أدركنا أن ليس المهم أن نعي الأشياء، و لكن الأهم أن نعيها قريبا من ذاتنا، فكلّ محاولة لفهم العالم بمعزل عن الذات هي محاولة فاشلة .

11. إنّ الطّابع الدوري الهرمنيوطيقي (للحلقة) هو نتيجة جهد يبذله و يدعّمه المؤول.

12. لقد عرضنا "التأويل النقلي" عند الشاطبي ثمّ العقلي عند "ابن رشد" كّنّا نرمي أن نبين الفرق بين الطرحين، حيث أكّدنا على اختلاف الآليتين، و رغم ذلك لاحظنا أنّ الطرحين يحقّقان هدفا مشتركا، و هو تحقيق وحدة الأمّة و رأب بؤر الاختلاف و الشقاق.

أما نتائج البحث التطبيقية فهي:

1. يكاد يكون "أدونيس" على المستويين النظري و التطبيقي أكثر الشعراء المفكرين إدراكا لهذه العلاقة التي تقوم على ثنائية الهدم/البناء؛ فهدم صورة ماضي الذات و إعادة تشكيلها بطريقة تجعل منها لبنة لحم جديد هو عين الحداثة- فمشروعه الحضاري بدءا من أطروحته "الثابت و المتحوّل" دليل واضح على صدق هذا التطلّع.
2. التأويل في العرف الأدونيسي يتأسس على ثلاث مبادئ رئيسية:
(أ) مبدأ الانتقاء. (ب) مبدأ الحوار مع الأصل. (ج) مبدأ الانحياز.
3. يتمفصل الحوار مع الأصل عند "أدونيس"، فيخضع أحيانا لآليات الحوار الحجاجي، لكنّه في أحيان كثيرة يصبح حوارا يخالف السائد البلاغي، فينتقد عنصر المشاركة، و بذلك يطيح بدعائم النظرية الحجاجية.
4. إنّ العلاقة الديالكتيكية بين الماضي و الحاضر في الفكر التأويلي الأدونيسي على الرّغم من مشروعيتها و موضوعيتها، إلاّ أنّها تقوم على مبدأ النزعة الطبقية النفعية.
5. يقع أدونيس أثناء العملية التأويلية في آفة التعميم، فكيف لنصّ واحد من كتاب واحد موغل في حقب الزّمن أن يحدد أو يرسم بنية أمة ما أو عقيدة ما.
6. يوهمك "أدونيس" لأكثر من طريقة أن هذه هي الحقيقة لا مفرّ، و يغلق على قارئه مهما كان ضليعا أبواب البحث عن حقيقة أخرى، يبدأ منها ثمّ ينتقل بسرعة إلى استدراجك إلى باقي النتائج لفرضيات مسبقة.
7. أدونيس يضع المقاييس الذاتية و يسقطها على أي مثال ينتقيه، بناء على مجموعة من النصوص قد لا تعكس إلزاما منهج المفكّر قيد الدراسة.
8. خرجت الأطروحات الأدونيسية إلى ما يمكن وصفه ترحيل المفاهيم و زحزحتها من مجالها إلى مجال ثان. حيث حرص على ممارسة التأويل بالشكل الذي يعضدّ طروحاته.

9. يجعل أدونيس من حركات مارقة؛ "الحركة القرمطية" و "حركة الزنج" ثورات تحرّر، بل يجعلها تأكيداً للنمو المتدرّج حتّى هاتين الحركتين- كتحصيل حاصل في نظره- محاولة لإلغاء الضياع و تجاوزا للقبيلة و العنصرية، و عودة فعلية للإنسان.

10. أثناء ممارسة التأويل يلغي "أدونيس" جميع التجارب التي حاولت إعطاء قراءة جديدة للنص الإسلامي المقدّس، و يحسب أنّ الفكر الإسلامي يعيش أزمة فعلية.

11. إذا كانت مشكلة الهوية الدينية حسّاسة بالنسبة للمفكّر العربيّ الطليعي، فإنّها ملتبسة بالنسبة لأدونيس، فالدين يتحوّل - حسبه- إلى محو للذات في المجتمع العربيّ.

12. خضعت الممارسة التأويلية عند أدونيس في كثير من الأحيان للمرجعية العلويّة، دون أن يدري، و هو النّاقِد الذي يتنصّل من الماضي بجميع أشكاله، و لعلّ مقولة علماء الاجتماع التي تؤمن بأنّ الفرد لا يمكن أن يعيش دون انتماء، صادقة في هذا المقام.

13. يختصر أدونيس الهوية العربيّة في اللّغة، فهي ليست قومية و لا سياسية، و لا عرقية، و لا دينية - و هو بهذا المعنى يلغي جميع التمايزات، ليجعل من الفرد العربيّ "كائناً لغوياً".

14. يخاطبك أدونيس بلهجة الفيلسوف الشّاعر، حيث تلتبس الفلسفة مع الشّعْر و يصبحان صديقان، بل أخوين، يجعلك تشعر أنّ الحياة مملكة لا تفرّق بين قانون العقل و قانون القلب و الروح...كلّه من أجل هدف واحد هو: الحقيقة الكاملة.

15. يكتب "أدونيس" ذاته عبر لعبة التأويل الأدونيسي على الطريقة الدلثوية، حيث يصبح التأويل إستراتيجية ناجحة لزحزحة الثّابت فكريّاً و ثقافياً و سياسياً و دينياً.

هذه نتائج بحث حول فكر التأويل عند "رجل الكلام" "المفرد بصيغة الجمع"،
نرجو أننا تمكّنا من النفاذ إلى أعماق الباطن اللامرئي، و أنرنا العتمات، و قطعنا
الدروب الوعرة للوصول إلى هضبات الحقيقة المنسية الخفية. و لعلّ ممارستنا هذه
من قبيل اللّعب الهرمنيوطيقي لأنه، بكل بساطة، من أبحر في متاهات التأويل عليه
أن يتحوّل في أقصر وقت لمؤول بالفطرة !